المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254

الفكر العلمي لدى عبد الحميدين باديس

ا.م.د مهند علي نعمه
جامعة بابل - كلية العلوم الإسلامية

ملخص البحث:
يبين (ابن باديس) ان العلم الحقيقي هو تحريره من التقليد ، وتهيئتة من جديد لفهم القرآن الكريم والواقع الاجتماعي من جديد، فالعلم عنده ليس بكثرة المعرفة بل هو طريق في التفكير الصحيح يقوم على النظر والنقد، وربط الاسباب بالنتائج للوصول للحل المنطقي للظروف التي تمر بها بلاده، خاصا ان الاحتلال حاول القضاء على الحياة العلمية في الجزائر ، وبمختلف اشكالها من تعليم وفكر وثقافة وصحافة ، لذلك اعتبر (ابن باديس) العلم الاداة للنهضة واول شروطها وفي الوقت ذاته رفض الابتعاد عن التراث العربي الاسلام والذوبان في بودقة الفكر الوافد من الغرب، بذلك اسس حالة من الوسطية العقلية التي تتجاوز ثنائية التقليد الاعمى للقديم والحداثة، فكان مؤمن مسألة التوازن بين الايمان وسلطة العقل واضعا حدودا للثبات والتغيير. ان دعوته الصريحة لابناء الجزائر الى تعلم لغة غير لغتهم كاللغة الفرنسية ايمانا بدور تعلم اللغات الاجنبية للحاجة والمصلحة التي تقتضي ذلك الامر، وهي دعوة للتفتح على اللغات والثقافات الاخرى والاستفادة منها، كما اكد (ابن باديس) ان الانسانية بدون علم تعني عودتها الى الحياة الحيوانية لان الانسان له خاصية التفكير في العلم الواسع، فالعلم هو حياة اما العمل فهو تابع له، فالمسلم اذا اراد السعادة الدنيوية فهي بالعلم والتعلم واذا اراد الدنيا والاخرة معا فعليه بالعلم . وبه يمكننا اصلاح عقيدة الامة وازالت ما فيها من البدع وتطهيرها من كل مظاهر التخاذل، تثقيف العقول وذلك بارجاعها الى القرآن والسنة النبوية الشريفة . ان عمق النزعة العلمية (لدى ابن باديس) جعل الشعب الجزائري يحتفل في كل عام (بيوم العلم) هو 4/16 اعترافا بالبعد كأبرز بعد في فكرة وهو يصادف يوم وفاته .
الكلمات المفتاحية. علم . فكر. اصلاح . معاصر

Scientific Thought in the Works of Abd al-Hamid ibn Badis

Dr. Muhannad Ali Na’ma
University of Babylon - College of Islamic Sciences

Research Summary: Ibn Badis explains that true knowledge lies in liberating oneself from blind imitation and preparing oneself anew to understand the Holy Quran and social reality. For him, knowledge is not about the quantity of information, but rather a path of sound thinking based on observation and critique, linking causes to effects to arrive at logical solutions for the circumstances his country was experiencing. This was especially important given that the occupation had attempted to eradicate intellectual life in Algeria in all its forms—education, thought, culture, and journalism. Therefore, Ibn Badis considered knowledge the tool for renaissance and its first condition. At the same time, he refused to abandon the Arab-Islamic heritage and dissolve into the melting pot of imported Western thought. In doing so, he established a state of intellectual moderation that transcends the dichotomy of blind imitation of the old and modernity. He believed in the balance between faith and the authority of reason, setting limits for both stagnation and change. His explicit call for the people of Algeria to learn a language other than their own, such as French, stemmed from his belief in the importance of learning foreign languages for the sake of necessity and the greater good. It was an invitation to open themselves to other languages and cultures and to benefit from them. Ibn Badis also emphasized that humanity without knowledge would revert to an animalistic

state, as humans possess the capacity for broad intellectual inquiry. Knowledge is life itself, while action is secondary. A Muslim who desires worldly happiness must pursue knowledge and learning, and if they desire both this world and the hereafter, they must pursue knowledge. Through knowledge, we can rectify the nation's beliefs, eliminate innovations, purify it from all forms of apathy, and cultivate minds by returning them to the Quran and the noble Sunnah. The profound scientific inclination of Ibn Badis led the Algerian people to celebrate "Knowledge Day" annually on April 16th, the anniversary of his death, recognizing it as a prominent aspect of his thought.
Keywords: Knowledge, Thought, Reform, Contemporary

المقدمة

يعتبر (ابن باديس) من رواد الاصلاح الحقيقي ابرز النهضويين والعلميين بالجزائر يكتب العلماء المسلمين هناك ، كان همه بعث نهضة علمية جديدة تبدأ بالتعليم في الكثير من الجوامع لبناء جبل من الشباب الواعي لانهم هم الاساس في الاصلاح وبالفكر الصحيح، وذلك بشر الثقافة العربية الاسلامية، وتطهيرها من الكثير من الشوائب والبدع التي دخلت عليها، كان (ابن باديس) جمعت التعليل اذ اعتبره احتلال للعقل ويجب التحرر منه، كانت حروبه العلمية تلك التي تضرب عمق المجتمع الجزائري فنادى بتعليم المرأة واقر بأهمية مساهمتها في بناء المجتمع.

ويرى بأن صلاح المسلمين هو بفهمهم الاسلامي وتطبيقهم له، الذي يكون على يد علمائهم فأن كانوا اهل تحرر وابتداع في العمل، كان المسلمون كذلك أمن (ابن باديس) بالامور المادية والمعنوية واسبابها للوصول الى الاهداف واهتم بالتنظيم ووضع الخطط لبلوغها، ونبه اهل العلم الى خط كبير قد يحدق بهم الا وهو الركون الى المناصب، فأنها ستكون عائقا عن الاصلاح .

اتسم تفكير بالعالمية فقد اعتبر ان الخدمة لا تكون للوطن فقط بل تتعداه الى خدمة الانسانية قاطبة ونقل المصالح لها ، كان يجاهر بعدم الاعتراف بأي شرعية للاحتلال الفرنسي للجزائر، ينشر افكاره تلك بالصحف والجرائد واول اهدافه الانفصال عن فرنسا .

الفصل الاول

حياته واهم مؤلفاته واصلاحه السياسي

حياته :

ولد الشيخ عبد الحميد بمدينة قسنطينة، عاصمة الشرق الجزائري، في الربيعين من سنة 1307 هـ الموافق لليلة الجمعة 4 ديسمبر عام 1889 م، ولده السيد محمد المصطفى بن مكي بن باديس كان يشتغل بالتجارة والفلاحة، يعد من أعيان مدينة قسنطينة وعرف بدفاعه عن حقوق المسلمين في الجزائر توفي سنة 1951م. اما امه فهي زهيرة بنت علي ابن حلول، من اسرة اشتهرت بالعلم والتدين[1]. زوجه ابوه بابنة عمه بآمنة بنت باديس حين بلغ الخامسة عشر من عمره، لكنه لم يكمل حياته معها بسبب رفضها المكوث مع والديه فلم يتزوج بعدها انجبت له ولدا اسماه عبده اسماعيل الذي توفي وعمره سبعة عشر عاما اثر

(1) مصطفى محمد حميداتو: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ط1، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، 1997م ، ص61.

حادث مفاجئ ورغم كل هذا الا ان ذلك لم يثن من عزيمة، ولم يثبط من ارادته للدفاع عن دينه ولغته ووطنه [1].

سافر الى تونس لطلب العلم بجامع الزيتونة، التي التحق بها عام 1908م، وظل بها مدة ثلاث سنوات يأخذ عن شيوخها ما عندهم من العلوم الاسلامية، اضافة ما كان يحصله من علم خارج اوقات الدراسة الى ان تشبع بمختلف ونوع العلوم الاسلامية[2].

فانفتحت انظاره على ما كان يجري في العالم الاسلامي، وفقد كان شابا مختلفا عن اقرانه ، فقد تيسرت له سبل التحصيل العلمي كما لم يتيسر لغيره ، ذلك لانه لم يكن يحمل هما من هموم الحياة كالسعي لاكتساب الرزق امر رعاية اسرة واطفال [3].

ثم عاد ابن باديس الى الجزائر 1914م ، بعد ان زار في طريق عودته عدة بلدان مثل سوريا ولبنان ومصر، واتصل بعلمائها، واطلع على احوالها، لما وصل الى قسنطينة ستأنف فيها مباشرة نشاطه التعليمي والتربوي ، بعد ان استصدر له ابوه رخصة رسمية من والي قسنطينة تسمح له بأن يدرس بالمجان في الجامع الاخضر وبدأ في هذا الجامع بتفسير القرآن الكريم وكان يحضر له كل ليلة نحو الالفين [4].

وفي عام 1919 م شارك في تأسيس صحيفة (النجاح) وتحريرها على انها اصلاحية ثم ركها لما رأى انها لا تحقق ما يصبو اليه، وكان يكتب مقالاته باسم (القسنطيني) والعبسي [5].

ثم توجه تفكيره الى ضرورة انشاء صحافة عربية مستقلة خاصة به، وقد لذلك بإنشاء (المطبعة الاسلامية الجزائرية) مع ثلة من اقرب الناس اليه ، وقد كانت اول صحيفة انشأها ابن باديس هي جريدة (المنتقد) الاسبوعية في قسنطينة عام 1925م وكان شعارها " الحق فوق كل احد ، والوطن قبل كل شيء) ، ولكنها لم تعمر طويلا نظرا لشدة لهجتها في الانتقاد [6].

ثم (الشهاب) (والسنة) (والشريعة) (والصراط) (والبصائر) لتبلغ الدعوة الاصلاحية السلفية .

حيث كان العلامة ان باديس سلفيا متمسكا بالكتاب الكريم والسنة الصحيحة معتدا بفهم السلف الصالح لهما، وقد قرر ذلك في اكثر من مناسبة [7].

ونشر ابن باديس في العدد الثالث من جريدة (الشهاب) ، دعوة الى المتعلمين المصلحين المشتتين في انحاء الجزائر بان يتجمعوا في (حزب ديني محض) يكون هدفه تنقية الدين من الخرافات والبدع والعودة الى مصادره الاولى القرآن والسنة النبوية وطالبت لدعوة كل مثقف ومناصر للاصلاح، وسرعان ما

---

(1) حمدي لكل: مشروع ابن باديس الاصلاحي بين المحافظة علم القيم والفتح على الآخر، مجلة دراسات انسانية، جامعة مستغانم، الجزائر، 2015م، ص82.
(2) مسعود فلونسي: الامام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته واعماله وجونب من فكرة دونها، ط1، دار قربطة، الجزائر، 2006م، ص15.
(3) مازن صلاح مطبقاني: عبد الحميد بن باريس العالم الرباني والزعيم السياسي، ط2، دار القلم، دمشق، 1999م ، ص32.
(4) مركز البحوث والدراسات في مجلة البيان: التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد ابن باديس، مركز البحوث، والدراسات، 1435ه ، ص47.
(5) المصدر نفسه، ص48.
(6) مسعود فلوسي: الامام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته واعماله وجوانب من فكره وجهاده ، ص24.
(7) عبد الحميد بن باديس : الامام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس، جمع وتعليق ابو عبد الرحمن محمود، مكتبة ابن باديس، الجزائر، 2006، ص26-28.

انهالت على ادارة الجريدة موافقات لعلماء، الا ان الحاكم العام لم يتحمل فكرة انشاء جمعية اصلاحية يمكن ان تحدث هذه في الفكر الديني في الجزائر ففشل الامر [1].

كان ابن باديس صحفيا ممتازا، واستاذا للصحفيين بدون منازع، والجانب ا لصحفي يظهر في مجالات مختلفة من حياته، فهو كرجل مفكر كان يدرك ما للصحافة من اهمية في نشر الفكرة الاصلاحية فيدرك مدى اهميتها في نوعية المواطنين، كان يؤمن بالصحافة كقوة وسلاح يستعمل في محاربة الظلم، والدفاع عن الحرية والحق والسلام، كوسيلة فعالة لنشر المعرفة والعلوم [2].

فكانت الصحافة من امضى الاسلحة التي حاربت بها الحركة الاصلاحية صوبها، ونشرت بها افكارها وتعاليمها. وقد شهدت الفترة التي تلت الحرب العالمية الاولى صراعا مريرا بين رجال الاصلاح من جهة، واصحاب الطرق الصوفية المنحرفة من جهة اخرى [3].

وقد بدأ عبد الحميد ابن باديس حملته على رجال الطرق الصوفية عام 1925م في اطار محاربة الافاق الاجتماعية كالبطالة والجهل، وكل ما يحرمه لشرع كبناء القبور، وايقاد الشموع عليها، والذبح عندها والاستعانة بأهلها وبين ان الاوضاع الطرقية يدعمه لم يعرفها السلف، مبنية على استغلال واذلال الناس وتجميد عقولهم وقتل شعورهم وهممهم [4].

وفي عام 1931م اجتمع بنادي الترقي بالجزائر العاصمة اثنان وسبعون عالما طالب عم من مختلف مناطق القطر الجزائري، استجابة لدعوة خاصة من لجنة تأسيسية متألقة من بعض فضلاء العاصمة، وكان القصد من الدعوة والاجتماع وضع القانون الاساس للجمعية والمصادقة عليه، كما تمت الموفقة على تشكيلة المكتب الاداري للجمعية والذي كان عبد الحميد بن باديس رئيسا لها [5].

ثم حلت ذكرى مرور مائة عام على احتلال قسنطينة، واستعد المعمرون لاقامة لاحتفالات الصاحبة بهذه المناسبة دون مبالاة يجرح عواطف المسلمين . ووجدها ابن باديس فرصة لتوجيه ضربة من ضرباته الموجعة المعهودة ال الدوائر الفرنسية التي تقف وراء هذه الاحتفالات فجمع عدد من الجمعيات من المدينة وطلب من الجميع الموافقة على اعلان مقاطعة الحفلات ووقعت الموافقة [6].

توفي ابن باديس مساء يوم الثلاثاء نيسان 1940م اثر تعرضه لمرض مفاجئ قصير ، لم يمهله ، فنعته الجزائر كلها، وحزن على فقده محبوه وعارفو فضله ومكانته في العالمين العربي والاسلامي، ودفن في مسقط رأسه مدينة قسنطينة ، لتخرج جماهيرها عن بكرة ابيها في وداعه، وفيه لرائد مصلح ومعلم ومرب وداع حكيم [7].

مؤلفات ابن باديس :

١- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير.
٢- مجالس التذكير من حديث البشير النذير .
٣- العقائد الاسلامية من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية [8].

---

(1) مسعود فلوسي: الامام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته واعماله وجوانب فكره، ص25-26.
(2) محمد بهي الدين سالم: ابن باديس فارس الاصلاح والتنوير، ط1، دار الشروق، بيروت، 1999، ص53-54.
(3) محمد ناصر : الصحف العربية 1847-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1980م، ص43.
(4) محمد بهي الدين سالم: ابن باديس فارس الاصلاح والتنوير، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1999م، ص56.
(5) مسعود فلوسي: الامام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته واعماله وجوانب من فكره وجهاده، ص31.
(6) المصدر نفسه، ص36-37.
(7) فهمي توفيق محمد: عبد الحميد ابن باديس رائد الاصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، مجلة الدرعية، العدد العشرين، السنة الخامسة ، 2002م ، ص276 .
(8) مسعود فلوسي: الامام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته وجوانب من فكره وجهاده، ص51.

٤- رجال السلف ونساؤه .
٥- حقق كتاب (العواصم والقواصم) لابن عربي.
٦- ترجم لعلام الاسلام من السلف والخلف جمعت تحت عنوان تراحم واعلام [1].

الاصلاح السياسي :

لم يقدم ابن باديس تعريف او نظرية واضحة المعالم لفكره السياسي، ولا يعني هذا زهده فيها او انه لا يلقي لها اهمية ، حيث اكد انه لا نهضة للامة دون سياسة حيث قال : " انه لا بد من الجمع بين السياسة والعلم ولا ينهض العلم والدين حق النهوض الا اذا نهضت السياسية بجد " [2].

وبما ان ابن باديس كان رجلا سياسيا، دخل العمل السياسي عن قناعة وهدف معين قد تعددت مصادر فكره السياسي منها الدين الذي اعتبره كأهم مصدر وفي ذلك قال " ان دين الله تعالى من عقائد الايمان وقواعد الاسلام، وطرائق الاحسان، انما هو في القرآن والسنة الثابتة الصحيحة وعمل السلف الصالح من الصحابة التابعين واتباع التابعين " [3].

وفي مكان اخر قال : " ان الشريعة المحمدية بما سنت من حول وما وضعت من نظم وما فرضت من احكام ، اعظم الشرائع واكمل الشرائع في المحافظة على حياة الناس وحريتهم، وما كان انتشارهم ذلك الانتشار العظيم في الزمان القليل على يد رجالها الاولين، الا لما شاهدت فيها الامم تعظيم للحياة والحرية، ومحافظة عليها وتسوية بين الناس فيهما، مما لم تعرفه تلك الامم من قبل، لا من ملوكها ولا من احبارها ورهبانها" [4].

ان الدين والسياسة عند ابن باديس متكاملان متلازمان وهو ما اكده في كثير من اعماله ففي اهمية السياسة قال :" انه لابد من الجمع بين السياسة والعلم والدين حق النهوض الا اذا نهضت السياسة بجد " [5].
بين (ابن باديس) اهمية القرآن الكريم في حياة الامة الاسلامية وانها كانت القائد لتلاقي الامم، حيث جعلت القرآن الكريم دستورها في ذلك قال :" افلح المسلمون يوم كانوا جد حريصين على تعاليم الاسلام لصحيحه، كما افلح من قبلهم الصدر الاول"[6].
كما استدل بالقرآن الكريم في قضايا السياسة التي كان يناقشها فيذكر اهمية الاتحاد بين المسلمين ويذم الفرقة، وان الاختلاف في المذاهب لا يضر ابدا، حيث قال:" واننا ندين قولا وعملا واعتقادا بقوله تعالى : (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) [7].

وعندما يتحدث عن الغاية من انشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، يربط هذه الغاية لتعليم الناس امور دينهم وتهذيبهم ، واصلاح ما فسد من شؤونهم اصلاحا مستمرا من القرآن وسنة النبي محمد (ص) للسان العربي المبين [8].

وفي الحرية ينطلق ابن باديس في عقيدته هي الحق في الحرية يهو يؤكد :" حق الانسان في الحرية كحقه في الحياة، ومقدار ما عنده من حياة هو مقدار ما عنده من حرية فهي لا تعني حقا فرديا مارسه الانسان في

---

(1) شيماء علي جمال الدين: الامام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية والاصلاحية ، شبكة الالوكة، 2016م، ص16.
(2) عبد الحميد بن باديس: آثار عبد الحميد بن باديس ، ج4، ط1، ص115.
(3) المصدر نفسه ، ج3، ص222.
(4) المصدر نفسه ، ج5 ، ص454.
(5) المصدر نفسه ، ج4، ص115.
(6) ابن باديس/ الاثار، ج3، ص253.
(7) سورة الحجرات ، الآية 10.
(8) ابن باديس: الاثار ، ج6، ص277ز

حدود حاجاته ومطالبه الفردية، ولكنها تعني كل شيء، حقا جماعيا يشمل كل مظاهر الحرية، من حرية المعتقد الى ممارسة الحقوق السياسية [1].

حاول الاحتلال القضاء على الحياة العلمية في الجزائر ، وبأوجهها المختلفة في تعليم وفكر وثقافة وصحافة وغيرها، وسلك في سبيل ذلك شتى الطرق والوسائل حتى انه قام باعمال همجية لم يشهد التاريخ لها مثيلا، من سلب وحرق للمساجد والمكتبات العامة والخاصة [2].

كذلك اقدم المحتلين على قتل العديد من المثقفين الجزائريين، ونفى الكثير منهم وزج ببعضهم في السجون، وقد كان في الجزائر رجال علم واصلاح جاهدوا من اجل اخراج بلادهم مما هي عليه [3]

الفصل الثاني

الفكر الاصلاحي لدى ابن باديس

اتفق ابن باديس مع المصلحين السابقين على ان الازمة الاسلامية بدأت تدرك انها دخلت مرحلة دقيقة من تاريخها بسبب عودة الغزو الاوربي الذي ذكرها بالحروب الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وكان فيلسوف الجزائر هو النذير الاول، وارتفعت صيحات الاصلاح في جوانب العالم الاسلامي تدعو الناس الى معالجة دائهم بالقضاء على اسبابه [4].

اصلاح التعليم : يرى ابن باديس ان اية عملية اصلاح لابد من ان تقوم اولا في اصلاح التعليم حيث اكد بأن صلاح المسلمين وعلمائهم بصلاح التعليم وفي ذلك قال :" لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم فإنما العلماء من الامة بمثابة القلب فاصلح صلح الجسد كله واذا فسد فسد كله ولن يصلح العلماء الا اذا صلح تعليمهم فالتعليم والتي يصبغ المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره " [5].

درس ابن باديس في مساجد كثيرة بقسنطينة كالجامع الكبير والاخضر وسيدي عبد المؤمن ومدرسة جمعية التربية والتعليم ، واول عمل تربوي له قسنطينة 1931م، حيث اسس مع جماعة من الفضلاء مكتبا للتعليم الابتدائي في مسجد سيدي بو معزة ثم انتقل الى بناية الجمعية الخيرية الاسلامية التي تأسست في 1917م، وفي 1930م تطور هذا المكتب الى مدرسة جمعية التربية والتعليم والاسلامية التي حرر بن باديس قانونها وقدمه الى الحكومة فصادقت عليه واعترفت بالجمعية في الجريدة الرسمية [6].

لاحظ ابن باديس ان المناهج والبرامج المتبعة في زمانه ، ليست في حالة اعتدال، سواء في صورتها او مادتها، لاهمالها كثيرا من المبادئ الخالدة التي جاء بها الاسلام فهو يرى انه " لن يصلح هذا التعليم الا اذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه في مادته وصورته، فيما كان يعلم (ص) ، وفي صورة تعليمه [7].

ويرى ضرورة اعداد لمناهج المناسبة لتنشئة اجيال المستقبل وتربيتها التربية لصالحه موضحا ذلك بقوله " ان ابناءنا هم رجال المستقبل ، واهمالهم قضاء على الامة اذ يسوسها امثالهم ، ويحكم في مصائرها

---

(1) محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، ص46.
(2) مصطفى حميداتو : عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية ، ص49.
(3) عمار الطالبي: اثار ابن باديس، ج1، ص19.
(4) محمد بهي الدين: ابن باديس فارس الاصلاح والتنوير ، ص78.
(5) عمار الطالبي: اثار ابن باديس، المجلد الاول، ج1، الشركة الجزائرية ، 1968م، ص101.
(6) المصدر نفسه ، ص114.
(7) مصطفى محمد حميداتو: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ص134.

اشباهم، ونحن ينبغي هنا ان نربي ابناءنا كما علمنا الاسلام، فإن قصدنا فلا نلومن الا انفسنا، ولنكن واثقين بأننا نبني على الماء مالم نعد الابناء بعدة الخلق الفاضل ، والادب الديني الصحيح " [1].

لقد آمن (ابن باديس) بأهمية التعليم في تربية المجتمع والافراد ودوره الفعال في احداث تغيير شامل وينهض بالامم ويقودها في طريق التقدم والتطور وينشر فيها الحياة ويبعثها على العمل ويسمو بشخصيتها في سلم الرقي الانساني ويظهر كيانها بين الامم [2].

لم تكن التربية عند (ابن باديس) ملء اذهان الطلاب بالمعلومات بل تعدتها الى التربية المتكاملة التي تؤدي الى رفع مستوى الوعي الفكري والسياسي والاجتماعي والاخلاقي [3].

فتأخذ مجموعة من الاساليب والوسائل لانجاح جهوده التربوية منها التربية القدوة فالتلميذ في المدرسة يحتاج الى نموذج عملي وقدوة يراها في كل مرب من مربية والتربية بالوعظ والتذكير وهي ان تقول لغيرك قولا يذكر به ما كان جاهلا وناسيا او عنه غافلا وقد يقوم الفعل والسمت والهدى مقام القول فيسمى تذكيرا مجازاً وتوسعا[4].

كذلك التربية على التحصيل النفسي وتنمية القدرات الذاتية للطالب، لا شك ان الدروس والبرامج المدرسية انما تحصل فيها قواعد بعض العلوم، وتبقى فنون كثيرة من فنون العلم يحصلها الطالب ويصل اليها عن طريق البحث والمطالعة بنفسه او مع زملائه " فالتحصيل الدراسي يؤدي الى فهم قواعد العلم وتطبيقاتها حتى تحصل ملكة استعمالها ، اما توسيع دائرة الفهم والاطلاع فأنما يتوصل اليها الطالب بنفسه وبمطالعته للكتب " [5].

ايضا التربية بتفريغ الطاقة وملء الفراغ بما ينفع ، ان استغلال طاقة الشباب ، وتوجيهها وجهتها الصحيحة بطريقة تستهوي ميولهم ورغباتهم وتبعث فيهم المرح والحيوية والحقيقة ان الطاقة المتولدة لدى الانسان عموما والشباب خصوصا، ينبغي اطلاقها بتوجيهها نحو عمل ايجابي بناء ، فأن كبحها وتزينها من غير مبرر، مختل بالتوازن الجسمي والنفسي للانسان [6].

تعليم المرأة :

البيت هو المدرسة الاولى والمصنع الاهلي لتكوين الرجال، وتدين الام هو اساس حفظ الدين والخلق والضعف الذي نجده من ناحيتهما في رجالنا معظمه نشأ من عدم التربية الاسلامية في البيوت بسبب جهل الامهات وقلة تدينهن [7].

لذلك ادرك ابن باديس ان المجتمع لا يستطيع ان يتقدم الى الامام وطره تقبع في ظلمات الجهل، كما ادرك ان التعليم الاجنبي سيؤدي الى تكوين جيل لا ينتمي الى الجزائر فكرها وعقيدتها .

اما الخطوات العملية التي اتخذها في هذا السبيل فإنه لما تأسست جمعية التربية والتعليم ان يتضمن قانونها الاساسي ان يكون تعليم البنات مجانا [8].

---

(1) ابن باديس: مجلة الشهاب، المجلد11، ج8، 1935، ص4555.
(2) بن دنيا سعدية: الوظيفة التربوية لفكر ابن باديس ودورها في احلال السلم، مجلة رسالة المسجد، العدد الثانين 2018م، ص89.
(3) مازن صلاح مطبقاني: عبد الحميد بن باديس، ص55.
(4) مصطفى محمد حميداتو: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ص173-174.
(5) ابن باديس: مجلة الشهاب، مجلد الحادي عشر، ج8ن قسنطينة – الجزائر، ص451.
(6) مصطفى محمد حميداتوك عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ص178.
(7) ابن باديس : مجلة الشهاب ، مجلد الحادي عشر، ج8، ص449.
(8) مازن صلاح مطبقاني: العالم الرباني والزعيم السياسي، ص61-62.

كما يشير(ابن باديس) في تربيته للمرأة الى نقطة مهمة الا وهي ان يكون التعليم المختلط بين الرجال والنساء ، بل يجب ان يكون التعليم كل واحد منهم لوحده وفي ذلك قال : " لا يجوز اختلاط النساء في التعليم فأما ان يغردن بيوم واما ان يتأخرن عن صفوف الرجال، ويجعل لتعليم النساء يوم خاص بهن ويتكرر هذا بقدر الحاجة"[1].

يعدها تقدم ابن باديس بخطوة رائدة في تعليم المرأة حيث إنه بعد أن انهت بعض التلميذات دراستهن في مدرسة جمعية التربية والتعليم المبكر في ارسالهن الى مدرسة جمعية دوحة الادب السورية وبعث رسالة بهذا الخصوص الى رئيسة هذه الجمعية [2].

ومن بين العلوم التي ركزت عليها جمعية العلماء المسلمين في تربية المرأة الى جانب العلوم العقلية هي العلوم الشرعية في ذلك قال ابن باديس " فعلينا ان نكمل النساء تكميلا دينيا، يهيئ للنهوض بالقسم الداخلي من الحياة انتظاما طبيعيا وتبلغ به الانسانية سعادتها وكمالها " [3].

كما اكد (ابن باديس) ان التعليم يساعد المرأة في اداء واجبها وهي تربية اجيال لان الاخلال بهذه الوظيفة سوف تكون مقدمة لانهيار المجتمع ، وان التعليم لا يكون ممتزجا بين الرجال والنساء، بل يجب تعليم كل واحد منهم لوحده مما يشير لانه كان يجعل يوم خاص لتعليم الرجال ويوم خاص لتعليم النساء [4].

الفصل الثالث

الفكر العلمي عند ابن باديس

العلم لغة : العين واللام والميم اصل صحيح واحد، يدل اثر بالشيء يتميز به عن غيره[5].

العلم اصطلاحا: هو الادراك مطلقا وتصورا كان او تصديقا ، يقينيا كان او غير يقيني ، وقد يطلق على التعقل، او على حصول الشيء في الذهن، او على ادراك الكلي مفهوما كان او حكما، او على الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، او على ادراك الشيء على ما هو به. والعلم مرادف للمعرفة الا انه يتميز عنها بكونه مجموعة معارف متصفة بالوحدة والتعميم[6].

وعرفه ابن باديس بقوله : " العلم ادراك جازم مطابق للواقع عن بينة ، سواء أكانت تلك البينة حسا ومشاهدة بالعين، او كانت برهانا عقليا، كدلالة الاثر على المؤثر، والصنعة على الصانع، فاذا لم تبلغ البينة بالادراك رتبة الجزم فهو ظن ، هذا هو الاصل ويطلق العلم ايضا على ما يكاد يقارب الجزم، ويضعف فيه احتمال النقيض جدا " [7].

يعطي ابن باديس اهمية بالغة للجانب العلمي ويرى بأن اي عمل لا يقوم على علم فهو غير مأمون النتائج، بل قد يشكل خطر على صاحبه وعلى من يحيط به وفي هذا يقول " العلم قبل العمل ومن دخل العمل بغير

---

(1) ابن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، ط1، وزارة الشؤون الدينية ، قسنطينة، 1983، ص158.
(2) مازن صلاح مطبقاني: العالم الرباني والزعيم السياسي، ص64.
(3) عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص16 .
(4)مصطفى حميداتو ، عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير وجهوده التربوية ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، الدوحة، 1997م، ص152.
(5) بن زكريا ، ابي الحسين: معجم مقاييس اللغة ، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، احمد بن فارس، بلا، ص109.
(6) جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ج2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 1982م، ص99.
(7) مصطفى محمد حميداتو: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية ، ص110 .

علم لا يأمن على نفسه من الظلال ولا على عبادته من مداخل الفساد والاختلال وربما اغتر به الجهل فسألوه فإغتر هو بنفسه فتكلم بما لا يعلم فضل وأضل"[1].

فشرف العلم وفضله ولا يخفيان على عامة الناس، فضلا عن العلماء ، اذ هو الذي خص الله تعالى به الانسانية دون سواها من الحيوانات ، وبه اظهر الله تعالى فضل آدم عليه السلام على الملائكة ، وامرهم بالسجود وانما شرف العلم لكونه وسيلة الى التقوى التي يستأهل بها المرء الكرامة عند الله والسعادة الدائمة، ذلك لان العلم مع الايمان ، رفعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة [2].

ويذهب ابن باديس الى ان العلم هو حياة القلوب وامام العمل، وانما العمل تابع له ، فهو وحده الامام المتبع في الاقوال والافعال والاعتقادات ، فمن دخل في العمل بغير علم، لا يأمن على نفسه من الضلال، ولا على عبادته من الفساد والاحتلال وفي ذلك قال " فسلوك الانسان في حياته مرتبط بتفكيره ارتباطا وثيقا ، يستقيم باستقامته، ويعوج باعوجاجه، ويثمر بأثماره ويعقم بعقمه، لان افعاله ناشئة عن اعتقاداته، واقواله اعراب عن تلك الاعتقادات ، واعتقاداته، واقواله اعراب عن تلك الاعتقادات، واعتقاداته ثمرة ادراكه الحاصل من تفكيره ونظره " [3].

يكفي العلم شرفا ان العلماء ورثة الانبياء وفي هذا يقول ابن باديس " لا حياة الا بالعلم، وانما العلم بالتعلم ، فلن يكون عالما الا من كان متعلما ، كما لن يصلح معلما الا من قد كان متعلما، ومحمد (ص) الذي بعثه الله معلما كان ايضا متعلما ، علمه الله بلسان جبريل، فكان متعلما عن جبريل عن رب العالمين ثم كان علما للناس اجمعين " [4].

يتضح ان باديس مجد العلم كثيرا ورفعه الى اسمى الدرجات، فقد اعتبر الاقتداء بالنبي محمد (ص) وسيلة لبلوغ الهدف وفي ذلك قال :" كانت دعوته مبنية على الحجة والبرهان ، فكان يستشهد بالعقل ويعتضد بالعلم ويستنصر بالوجدان "[5].

وفي مكانة العلم ودورة في حياة الامم يشبه ابن باديس حلقة لعلم حيث يجتمع طلاب العلم حيث يجتمع طلاب العلم من كل الامصار حول اساتذتهم في صفوف متراصة ومنتظمة كصفوف المصلين اثناء اداء فرض الصلاة وفي ذلك قال: " التخلق للعلم وتنظيم الحلقة وسد فرجها فهي في ذلك كصفوف الصلاة يجوز التخطي لسد الخلل ويجلس خلفها اذا لم يكن موضع فيها" [6].

كذلك دعوة ابن باديس الصريحة ابناء وبنات الامة الجزائرية الى فلم لغة غيرهم كاللغة الفرنسية لغة المستعمر ايمانا بدور العلم اللغات الاجنبية فقد كتب في مجلة الشهاب (ج2/م11) مقالا يبين فيه دور اللغات الاجنبية كون ان هذا اصل من اصول المدينة والعمران ، وان الحاجة والمصلحة هي الدافع الى ذلك مستدلا بسيرة النبي محمد (ص) عندما امر زيد بن ثابت بتعلم العبرية والسريانية [7].

وبذلك يكون ان باديس رائدا في هذا الجانب المهمة وهو التفتح على اللغات والاتصال بالثقافات الاخرى والاستفادة منها .

---

(1) الخضر بن العربي عواريب: نظرات تربوية في المنهج الاصلاحي الباديسي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الاول، ديسمبر ، 2010م، ص231.
(2) مصطفى حميداتو: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية ، ص111.
(3) المصدر نفسه ، ص112.
(4) ابن باديس: مجالس التذكير ، التفسير ، ص205 .
(5) ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ط1، دار البعث ، قسنطينة، 1982م ، ص60.
(6) ابن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ط1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، 1983، ص69.
(7) محمد المجبلي: ابن باديس وعروبة الجزائر ، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، 2007، ص141.

طلب العلم :

استحوذ موضوع طلب العلم اهتمام ابن باديس لذلك فهو يدعو المتعلم بأن مهتم بتصحيح نفسه والاستمرار في طلب العلم من ناحية النية فالعلم عند ابن باديس ونبراس المسلم في ظلمة الجهل وسبيله لتوحيد خالقه وحسن عبادته وان طلبه من شرف انواع العبادات واجلها، فينبغي على طالب العلم ان تلازمه النية الحسنة والاخلاص له تعالى في تعلمه .

ثم يوجه المتعلم ، بأن ينوي بطلب العلم مرضاة الله تعالى، وازالة الجهل عن نفسه، وخدمة دينه، وانه من اسباب نجاح طلبة العلم تحصيلهم وتفقههم ان " لا يقصدوا الا ان يتعلموا فيعلموا، يتفقهوا فيتفقهوا، ولا يرجوا من ذلك الا رضا الله ونفع عباده " (1).

بما انه على طالب العلم تعديل سلوكه واعماله الظاهرة، وجعلها في طاعة الله تعالى، كذلك يجب عليه تغير ما هو باطن منها وفي ذلك قال :" كما علينا ان نجتهد في تطهير اعمالنا من المخالفات، وقصرها على الطاعات والمباحات، كذلك علينا ان نجتهد في طاعاتنا ان تكون خالصة لوجه الله تعالى ، وان نبعد عنا كل خاطر يلغتنا الى غير، حتى يسلم لنا القصد كله خالصا، والعمل كاملا " (2).

اما ما يخص الاستمرار في طلب العلم والاجتهاد في تحصيله، التعليم في زمن ابن باديس مهمل لاسباب منها نفور اغلب الشعب من تدريس ابنائهم اللغة الفرنسية لانها لغة المستعمر وبالتالي، اوجد ذلك فراغا كبيرا في التخصصات العلمية التي لا تدريس الا في اللغة الفرنسية .

كذلك الطرق الصوفية المنحرفة التي سعت جاهدة لايقاف اي مد اصلاحي وهنالك آفة اخرى اصابت التعليم، هي ان العلوم كان منها باللسان العربي، وهي العلوم الشرعية والآلية، ومنها ما يؤخذ باللسان الاجنبي وهي علوم الاكوان والعمران وفي ذلك قال ابن باديس : " وقد كان الذين يزاولون العلوم الاولى على جمود تام ، كما كان الذين يزاولون العلوم الثانية على تيه وضلال فهؤلاء يعتبرون الاخرين احجارا واولئك يعتبرون هؤلاء كفارا " (3).

انواع العلوم عند ابن باديس: وتشمل العلوم عند ابن باديس :" التفسير للكتاب وتجويده، وعلى الحديث الشريف، والفقه المختصر وغيره، وعلى العقائد الدينية والآداب والاخلاق الاسلامية وعلى العربية بفندقها كالمنطق والحساب وغيرهما " (4).

يرى ابن باديس ان العلم منه فرض عين ومنه فرض كفاية، ولا بد للمسلم من معرفة ما هو فرض عين عليه، اذ قال ابن باديس:" الاسلام دين له عقائد واخلاق واحكام، وان على المسلم ان يعرف من ذلك مالا يكون المسلم مسلما الا به، وان عليه ان يقوم بذلك في اهله وبنينه وبناته، ومن في رعايته وكفالته " (5).

والسؤال الذي يدور حوله المطلب هو :

ما هي العلوم التي اذا عرفها البعض سقطت معرفتها عن الآخرين، والاخرى التي تجب على المسلم في خاصة نفسه ؟

يوضح ابن باديس ذلك فيقول : " ان طلب العلم على وجهين:

١- الاشتغال بتحصيل مسائله، والانقطاع الى تعلم قواعده، وهذا هو الواجب كفاية.

---

(1) ابن باديس : اثار ابن باديس، ج4، منشورات وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص107.
(2) ابن باديس: مجالس التذكير (الحديث) ، ص64.
(3) ابن باديس : اثار ابن بادس، ج4، ص116.
(4) ابن باديس: اثار ابن باديس، ج4، ص68.
(5) مصطفى محمد حميداتو: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية ، ص119.

٢- السؤال عن حكم ما تدل به من امر دينه ، واستفتاء اهل العلم فيه وهذا واجب علينا فاذا احتاج الانسان الى شيء من العلم كان تعلمه فرض عين عليه فمثلا: اذا اراد الرجل ان يتوضأ، يجب عليه عينا ان يتعلم كيف يتوضأ[1].

وينتهي ابن باديس الى القول: " فأحفظ هذا الضابط واعتبر به مسائل دينك، يسهل عليك الفرق بين ما هو واجب على عموم المسلمين، يسقط بوجود عالم بينهم، وما هو واجب عليك في خاصة نفسك، لا تبرأ ذمتك الا بمعرفته" [2]. كان عمل ابن باديس شاقا لنشر العلم بين صفوف الشعب الجزائري لمحاربة الجهل والتخلف وتحرير شعبه وتوعيته من الاستعمار الفرنسي.

واجب العلماء:

ذكر الله عز وجل العلماء في القرآن الكريم في قوله عز وجل بسمه تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور) [3]. اي انما يخشاه حق خسسه

وفي ذلك يقول ابن باديس: " ان اهل العلم في كل قطر ، هم مصدر الهداية والارشاد ، ومبعث التثقيف والتهذيب، وكل واحد في ناحيته هو نبراسها في ظلمة الجهل، ومرجعها في مشكلات الامور " [4].

وفي مكان اخر يقول ايضا : " ما ورث الانبياء دينارا ولا درهما، وانما يرثوا العلم، والعلم مستمد من الرسالة، فعلى اهله واجب التبليغ والنذارة، والصبر على ما في طريق من الاذى والبلاء، والعطف على الخلق والرحمة " [5].

ويرى (ابن باديس) ان العلم مسؤولية كبيرة تقع على عاتق العالم، فهي ليست صفة حسنة فيها امتيازات يتميز به العالم عن غيره من سائد الناس، بل العكس الشخص وتبحر بالعلم زادت مسؤوليته التي يجب عليه تحملها وفي ذلك ذكر ابن باديس :" ان العلم امانة عند العلماء، وهم مكلفون بأدائه لمستحقيه ، وليس العلم ملكا لهم يستغلونه، فيكتمونه اذا رأوا الكتمان اوفق بمصالحهم الشخصية ، وينشرون منه ما لا يصادم اهواء العامة ، بل يزيد جاها لديهم، ولا أنجس صفقة ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة " [6].

هنالك ارتباط قوي واثر وتأثير بين صلاح علماء امة ما وازدهار تلك الامة ، فكلما اهتم العلماء بشعوبهم وقاموا بواجباتهم اعملهم تدهورت امتهم وتخلفت. وفي ذلك يقول ابن باديس :" وانا اذ راجعنا تاريخ المسلمين في سعادتهم وشقائهم وارتفاعهم وانحطاطهم ، وجدنا ذلك يرتبط ارتباطا متينا بقيام العلماء بواجبهم، او قعودهم عما فرض الله واخذ به الميثاق عليهم " [7].

المصادر والمرجع :

- **القرآن الكريم**

١- ابن باديس : اثار ابن باديس، ج4، منشورات وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.

٢- ابن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، ط1، وزارة الشؤون الدينية ، قسنطينة ١٩٨٣م.

٣- ابن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ط1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، 1983.

(1) المصدر نفسه ، ص119-120.
(2) ابن باديس: مجالس التذكير (الحديث) ، ص197.
(3) سورة فاطر: آية 28 .
(4) ابن باديس: اثار ابن باديس، ج4، ص55.
(5) ابن باديس: مجالس التذكر (التفسير) ، ص372 .
(6) ابن باديس: مجالس التذكر (الحديث) ، ص195.
(7) ابن باديس: اثار ابن باديس، ج3، ص267.

٤- ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ط1، دار البعث ، قسنطينة، 1982م .
٥- ابن باديس: مجلة الشهاب، المجلد11، ج8، 1935.
٦- ابن باديس: مجلة الشهاب، مجلد الحادي عشر، ج8ن قسنطينة – الجزائر.
٧- بن دنيا سعدية: الوظيفة التربوية لفكر ابن باديس ودورها في احلال السلم، مجلة رسالة المسجد، العدد الثانين 2018م.
٨- بن زكريا ، ابي الحسين: معجم مقاييس اللغة ، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، احمد بن فارس، بلا.
٩- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ج2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 1982م.
١٠- حمدي لكل: مشروع ابن باديس الاصلاحي بين المحافظة علم القيم والفتح على الآخر، مجلة دراسات انسانية، جامعة مستغانم، الجزائر، 2015م.
١١- الخضر بن العربي عواريب: نظرات تربوية في المنهج الاصلاحي الباديسي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الاول، ديسمبر ، 2010م.
١٢- شيماء علي جمال الدين: الامام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية والاصلاحية ، شبكة الالوكة، 2016م.
١٣- عبد الحميد ، ابن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير وجهوده التربوية ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، الدوحة، 1997م.
١٤- عبد الحميد بن باديس : الامام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس، جمع وتعليق ابو عبد الرحمن محمود، مكتبة ابن باديس، الجزائر، 2006.
١٥- عمار الطالبي: اثار ابن باديس، المجلد الاول، ج1، الشركة الجزائرية ، 1968م.
١٦- فهمي توفيق محمد: عبد الحميد ابن باديس رائد الاصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، مجلة الدرعية، العدد العشرين، السنة الخامسة ، 2002م .
١٧- مازن صلاح مطبقاني: عبد الحميد بن باريس العالم الرباني والزعيم السياسي، ط2، دار القلم، دمشق، 1999م .
١٨- محمد المجبلي: ابن باديس وعروبة الجزائر ، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، 2007.
١٩- محمد بهي الدين سالم: ابن باديس فارس الاصلاح والتنوير، ط1، دار الشروق، بيروت، 1999.
٢٠- محمد بهي الدين سالم: ابن باديس فارس الاصلاح والتنوير، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1999م.
٢١- محمد ناصر : الصحف العربية 1847-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1980م.
٢٢- مركز البحوث والدراسات في مجلة البيان: التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد ابن باديس، مركز البحوث، والدراسات، 1435ه .
٢٣- مسعود فلوسي: الامام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته واعماله وجوانب من فكره وجهاده .
٢٤- مسعود فلوسي: الامام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته واعماله وجوانب فكره.
٢٥- مسعود فلوسي: الامام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته واعماله وجوانب من فكره وجهاده،.
٢٦- مسعود فلونسي: الامام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته واعماله وجونب من فكرة دونها، ط1، دار قربطة، الجزائر، 2006م .
٢٧- مصطفى محمد حميداتو: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ط1، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، 1997م .